هي لك

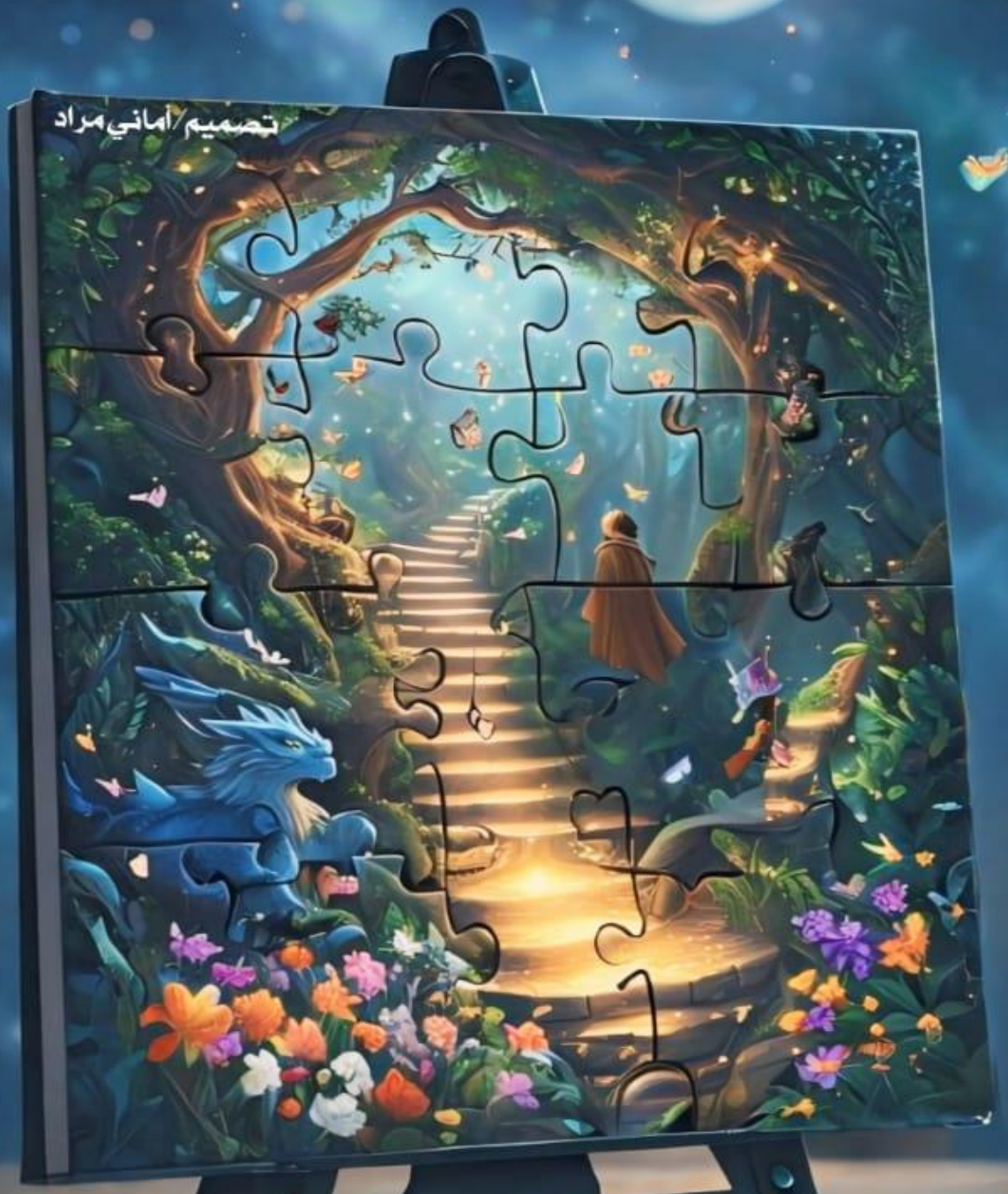

بن ميلود صلاح الدين

هي لك

بن ميلود صلاح الدين

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : هي لك

المؤلف: بن ميلود صلاح الدين

غلاف الكتاب: أماني مراد

موك اب الكتاب: منى مجدي

تنسيق داخلي: جيهان سمير

تدقيق لغوي: ضياء الحق محمد صديقى

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إني جعلت عبارة هي لك عنوان لروايتي إن صح أن يكون مناسبا، لهذا أعتبر هذا العمل هدية مني لكم، وأود كثيرا لو تتركوا فيه بصمتكم، فملاحظاتكم تهمني كثيرا لأنها تزيدني شغفا بالكتابة وتعطيني الكثير من الإلهام نحو تقديم الأفضل، فأنا أثق كل الثقة أننا نمتلك أحاسيس مختلفة، ولكل واحد منا خيال وعالم خاص به يجعله ينتقد غيره عن طريق ملاحظات بناءة، التباين فقط يكمن في أن هناك من يستطيع ترجمة خلجاته فيعبر عنها عن طريق الشعر أو الخاطرة، وهناك من يصعب عليه التعبير

عنها فيترجمها إلى صمت وكبت، وفي رواياتي هذه أنادي كل فرد قارئ مهما اختلف فكره أن يأخذ دور المطالع من جهة، و دور إعطاء العنوان المناسب لها من جهة أخرى، ولأنني على يقين من أنه يملك الكثير من القدرات، فقد جعلتها تحتوي على بعض التساؤلات المهمة، و إن لم تكن عندك إجابة لها، فلا جدوى من قراءتها، فكن صادقا مع نفسك واحتفظ بالجواب في عقلك حتى نهاية الرواية، بعدها اسأل نفسك مرة أخرى هل الرواية غيرت فيك شيئا ؟ أو غيرت من تفكيرك قليلا، وقتها لك الحق في قول أي شيء، وتستحق أن تعنونها، وفي الأخير أترك لك هذه الأسئلة:

هل الرواة صادقون؟

هل انتقدتهم يوما؟

أحظيت يوما بصديق راوي؟

أجنيت شيئا من قراءة الروايات؟

أسئلة سهلة لكنها قد توقظ تفكيرك عندما تربطه بما ستقرؤه في هاته الرواية القصيرة، التي تحوي أربعة فصول كفصول السنة، كل فصل فيها مرتبط بالآخر حسب استنتاجك، ففي الأخير أنت من يترك بصمته فيها، إذن جد لها عنوانا مناسبا لتفكيرك أنت،"فهي لك".

الفصل الأول

"أول غفوة"

تكـــون الســـاعة اليـــوم الثانيـــة ظهـــرا، أصـــبت بإعيـــاء شـــديد وإرهـــاق كعـــادتي والـــذي يجعلنـــي أدخـــل فـــي غيبوبـــة التفكيـــر العميـــق، أقصـــد عنـــدما أوشـــك علـــى السـرحان فـي خيـالي لأبحـث عـن روايـة مـــا، أو لأكتـــب بعـــض الخـــواطر أو فصـــلا مـــن كتـــاب أحبـــه أو شـــعرا يشـــفي ســـقمي ويبـــرئ فـــؤادي ويـــذهب غيظـــي، فعلـــى كـــل حـــال هـــذه مهنتـــي وهـــوايتي، لكـــن يـــومي هـــذا لـــيس كســـائر أيـــامي وإرهـــاقي وتعبـــي لـــيس كالمعتـــاد؛ لأنـــي ولأول مـــرة لـــم أســـتطع أن أضـــع عنوانـــا يناســـب روايتي،فكمــا تعلمــون العنــوان يقــرب مفهـــوم الروايـــة ومضـــمونها، يســـهل

تحليلها،السؤال هنا ماذا إن كانت الرواية صعبة الفهم؟ ماذا إن كان لديها عدة جوانب، أو كانت بلا هدف وأهمية أو لا نعلم ما مقدار ما تتركه في نفسية القارئ، هنا يصعب الأمر في إختيار العنوان وهذا ما يجعل الإنسان يبحر في خياله، يشق طريقا في أعماق العقل الباطني والتصور و الإدراك و التناقض الذي ينتج عن كلاهما، تراودني هذه النوبة من حين لآخر فيصيبني الفضول في أمور أجهلها فأتخبط في عقلي كالذي مسه الجن ويهذي، فتصير بيني وبين نفسي قصة لا تبدأ بعنوان ولا تنتهي بخاتمة ... غالبا ما تنتابني هذه الحالة، فأنا الآن مستند بمرفقي على كرسي

المفضـــل الـــذي يبـــدو هشـــا، البنـــي اللـــون المصـــنوع مـــن خشـــب قـــديم أصـــيل ذلـــك مـــا جعلـــه يصـــمد لمـــدة طويلـــة، أنـــا أحبـــه لأنـــه يلهمنـــي ويريحنـــي ويســـاعدني فـــي التفكيـــر و الســـرحان فـــي خيـــالي، أمـــا التـــي أمـــامي فهـــي حبيبتـــي البيضـــاء أراهـــا وحيـــدة كأنهـــا تنتظرنـــي أهـــوي إليهـــا أحـــس بهـــا تعيســـة قبـــل أن يكتـــب عليهـــا شـــيء، بياضـــها يـــؤلمني بعـــض الشـــيء لا أدري لمـــاذا، ربمـــا لأننـــي أرى فـــي خـــط القلـــم أنســـها واحتواءهـــا. قلمـــي هـــذا أهـــداه لـــي صـــديق اســـمه تومـــاس أيـــام الجامعـــة، أينمـــا كانـــت الكتابـــة هـــي جـــل تفكيـــري، هـــي كـــل وقتـــي و شـــغفي فـــي الحيـــاة، هـــا أنـــا الآن أجلـــس تلـــك الجلســـة الايطاليـــة أمـــام أغـــراض الكتابـــة

(كرســـي التـــراث وقلـــم تومـــاس وحبيبتـــي البيضـــاء) كـــأنني فـــي موعـــد غرامـــي معهم،موعـــد لطالمـــا أحببتـــه و مـــا مللـــت منـــه، حتـــى أطلـــق الـــريح عنانـــه وصـــاحبته شـــمس الظهيـــرة مـــع الشـــتاء البريطانيـــة إلـــى أن بـــدأت ســـتائر رموشـــي بـــالغروب نتيجـــة مـــا أصـــابني مـــن إعيـــاء و تعـــب قـــد أخبـــرتكم عنـــه مـــن قبـــل، وبـــدون أن أشـــعر غفـــوت بعـــض الوقـــت إلـــى أن أيقظتنـــي طرقـــة فـــي البـــاب خفيفـــة مألوفـــة، عنـــدها قـــد فـــتح البـــاب مصـــدرا صـــوتا كنـــوع مـــن تلـــك المقطوعةالشـــبيهة بالســـيمفونية،فتوجهت نظراتـــي الثقيلـــة إلـــى البـــاب لتقـــرأ هويـــة الطـــارق لعلهـــا تعـــرف أي وجـــه يعلـــو هـــذا الجســـد، فـــإذا بـــه صـــديق الجامعـــة تومـــاس

الـــذي أهـــداني قلمـــي ذاك، لكـــم أن تتخيلـــوا معـــي تلـــك الدهشـــة والســـعادة التـــي غمرتنـــي آن ذاك برؤيتـــي لـــه، عـــانقني عناقـــا طـــويلا تصـــحبه غبطـــة أقرأهـــا فـــي عينيـــه، ثـــم جلســـنا نتبـــادل أطـــراف الحـــديث إلـــى أن حصل ما حصل.

صـــديقي تومـــاس" إنســـان ذو خبـــرة فـــي الحيـــاة، هـــو يكبرنـــي بســـنة وســـبب تعلقـــي بـــه هـــو عشـــقه للكتابـــة، يكتـــب الروايـــات الدراميـــة والحساســـة ولـــه أســـلوب جيـــد فـــي الإلقاء والإقناع "

أمـــا عـــن الـــذي حصـــل هـــو أننـــي شـــردت فـــي تـــذكر صـــديقي تومـــاس ونزلـــت دمعـــة بـــداخلي أحـــر مـــن أيـــام الصـــيف، هـــو لا يراهـــا فـــي عينـــي ولا فـــي حـــديثي، فقـــط يـــرى

ابتســـامة شـــوقي لـــه، يـــرى ذكريـــات رســـمناها معـــا بقلـــم الحـــزن و الألـــم و الفـــرح، يـــرى أيامـــا خفـــاف وأيامـــا عجـــاف، أمـــا أنـــا تركـــت واقعـــه وغصـــت فـــي أعمـــاق أحاسيســـي وخيـــالي فـــي بحـــر فلســـفتي و إدراكـــي، بـــالأحرى اســـتدعيت بعـــض تخيلاتـــي لأكتشـــف هـــذه الحقيقـــة التـــي أخبـــركم عنهـــا ألا وهـــي أن صـــديقي تومـــاس يـــدعي ... .. نعـــم يـــدعي فهكـــذا حدثتني نفسي.

يقـــول لـــي أنـــه يفتقـــدني ويســـرد لـــي ماضـــينا الجميـــل بكـــل التفاصـــيل، ينتقـــي أجمـــل الكلمـــات لأضـــحك وبالفعـــل ســـعدت كثيـــرا، لكـــن أنـــتم تعلمـــون وأنـــا اعلـــم مـــنكم وأدرى

أنه راوي والرواة يكذبون ويدعون الأحاسيس.

يصطنعون كلماتهم حتى أحاسيسهم، مع أصدقائهم وأحبتهم حتى مع عائلاتهم يبالغون في كل شيء، تذكرت تلك الابتسامة التي قابلني بها وعناقه الحميم، كلماته كلها كذب وادعاء، إنه راوي الكذب أعلم، هكذا تكلمني نفسي حتى أيقظني سؤاله.

-أتتذكر هذا يا صديقي؟ "قالها بصوته الذي يخاطب القلب ذاك الصوت الرقيق الذي يمتاز به"

صدمت ورسمت على وجهي ملامح الدهشة وألف سؤال راودني وبصوت يدمي القلب يقول في داخلي ... أكان

صديقي يتكلم بينما أنا شارد الذهن وأحلل في صفاته؟ عن ماذا كان يتكلم؟ لماذا لم أكن معه أسمع وأحاور؟

-أخبرني أتتذكر أم لا يا مايكل؟

-نعم أذكر، قلتها مرغما، وقهقهة لا أعلم كيف خرجت مني ضحك لضحكتي، وقال لا تزال كما هي (الضحكة) تعجبني ابتسامتك وأحببت مصاحبتك من أول يوم عرفتك يا مايكل.

صرخت في قلبي أسكت أيها الراوي المنافق، أي صحبة تتذكرها وكل ما يشغل بالك عنوان رواياتك، طريقة كتابتهم، تجسيد شخصياتهم، أعرفك جيدا وكما عهدتك لا تفارق الكتابة، لم

تكن تبالي بمن حولك، أي إنسان كنت أنت؟ (في نفسي) وقلت له:

-شكرا لك على مديحك توماس.

-العفو، لكن لما لم تشرب شيئا من القهوة؟ على الأقل رشفة منها لترضي والدتك، ألا ترى كيف قدمتها لنا ووجهها يشع حبا وحنانا كأن الجنة بين كفيها، تضع بأناملها الذهبية قطع السكر وتحركه لتذيب به قلوبا صخرية بحنانها، ويتحرك لسانها وقلبها بازدواج لتسأل عن أحوالنا، إني لأراها قد سعدت بقدومي، "هنا وضعت يدي على رأسي لعلي أغطيه، لكي لا تسمع أذني ما يقوله أو أسكته".

أتقول شعرا أم كذبا؟ كفاك لهوا كفاك اصطناعا جلبت لي الصداع في رأسي، أهان عليك إدعاؤك وكذبك لتعبث في قلبي الآن؟ من أين خرج بهذا؟

مهلا ... أكانت أمي هنا؟ متى قدمت لنا القهوة، أأخبرتكم بذلك؟

لا يهم، سايرته في الكلام فهذا من الجود، هو حق الضيف والإكرام.

-شكرا لك توماس، أنت تعلم حبي للقهوة لا يقل عن حبي لأمي، لكن شغلني عنها حديثك اللبق عن طفولتنا وأسرتني ذكريات الزمن الماضي.

-هههه حتى أنا يا صديقي فلنشرب معا نخب الأخوة.

"بصوت واحد قلنا تشيرس"

وتبادلنـــا مـــا بقـــي مـــن أطـــراف الحـــديث لســـاعات طويلـــة وصـــوت قهقهتنـــا مـــلأ الـــدنيا بهـــاءً حتـــى غفـــوت لمـــدة، وعنـــدما صـــحوت لـــم أجـــد تومـــاس فـــي المنـــزل، ولا أدري متى غادر.

-أمي! أمي

-ماذا يا حبيبي ما الأمر؟

-أين توماس؟

-ههـــه لقـــد غفـــوت يـــا إبنـــي، وصـــديقك غـــادر قبل ثلاث ساعات

-ثـــلاث ســـاعات !! آآآه علـــي، ضـــحكت علـــى نفسي أهكذا أجازي الضيوف؟

"وبينمـــا ألـــوم نفســـي، تـــأتيني أمـــي بشـــيء و تقول" :

-ترك صديقك رسالة لك، قال فيها":

" صديقي العزيز، زيارتك زادتني عمرا وفتحت آفاقي، لمست كل أحاسيسي بضحكتك المعتادة، أخذتني إلى ذكرياتي الجميلة،أنا أحبك، وفقك الله.... رفيقك توماس " شدتني كلماته وكبلتني قشعريرة كدت أفقد وزني وأطفو في كوكب الفرح، تبسمت، وتبسمت أمي لابتسامي، حضنتني وقالت:

-"أدام الله صحبتكما يا بني".

فجأة انتابني ألم في رأسي، داخلي يصرخ قائلا:

-" أيها الكاذب أمازلت تنشد شعرا؟ أأحاسيس الناس لعبة بين يديك؟ أنت بشر أم ماذا؟ لا تصدقوه إنه راوي ويستطيع أن يكتب أي شيء، ألم اقل لكم

أن رواياتـــه دراميـــة؟ أمقتـــه بشـــدة، ليتـــه لا يعـود أبـدا، لاشـيء حقيقـي فـي كلامـه وإنـي لأحـــزن علـــى حـــالي لمعرفتـــه ولحـــالكم أيضا."

-مـــا بـــك يـــا ولـــدي؟ لمـــاذا هـــذا الحـــزن يعلـــوك؟ أيؤلمـــك غيـــاب صـــديقك لهـــذه الدرجة؟

ولأننـــي لا أريـــد أن تكـــون أمـــي حزينـــة قلـــت بصوت حزين:

-" نعـــم"، لقـــد كـــان أحســـن صـــديق راوي بالنسبة لي، فهو من أهداني القلم.

خرجـــت مـــن المنـــزل مســـرعا أشـــق طريقـــي نحـــو الجامعـــة، لـــم أخبـــركم أننـــي طالـــب مشـــرف علـــى التخـــرج، كعـــادتي لـــم أســـتقل أي مركبـــة أو وســـيلة نقـــل، لأننـــي أريـــد أن

أنفــس عــن غضــبي، حيــث كانــت كــل خطــوة يليهــا حــدث مــن الماضــي و كــل الكلمــات التـــي قالهـــا لـــي صـــديقي فـــي مخيلتـــي تتلاعـــب بعقلـــي كأنهـــا فـــي ريـــاح الخريـــف تأخـــذه مـــن غصـــن لغصـــن، والخطـــوة الأخـــرى يتبعهـــا نفـــس عميـــق، أتعـــب قلبـــي ذلــك المنــافق، أنــتم تعلمــون ذلــك الإحســاس الــذي ينتــاب الإنســان عنــد الغضــب، عنــدما يصـــاب بخيبـــة أمـــل، تومـــاس إســـتهزأ بمشـــاعري و داس علـــى قلبـــي بتملقـــه وكذبـــه، كيـــف لا وهـــو مـــن قـــابلني بفـــيض نهــر إحساســه الكــاذب، كيــف يجــرأ علــى ذلــك ؟ ألا يقــدر مشــاعر مــن حولــه، وبينمــا أنـــا شـــارد الـــذهن منشـــغل فـــي كآبـــة وغـــيظ

يرفقهمـــا بعـــض الـــذهول، يـــوقظني صـــراخ قوي من حولي بصوت واحد يقول:احذر !!!!!

الفصل الثاني

"لقاء الأحبة"

أتعلمـــون مـــا حصـــل ...؟ أرى أمـــامي كثيـــرا مـــن النـــاس تعلـــوهم الدهشـــة، يصـــبون نظـــراتهم المتعجبـــة نحـــوي، مشـــهد مرعـــب بعـــض الشـــيء، أزيـــح رأســـي بتـــأن عـــن شـــمالي، فـــأرى امـــرأة تضـــع يـــديها علـــى فمهـــا كأنهـــا تمنعـــه مـــن الصـــراخ، وأزيحـــه مـــرة أخـــرى عـــن يمينـــي لأجـــد طفـــلا صـــغيرا بكلتـــى يديـــه يحجـــب عنـــي عينيـــه كأنـــه لا يريـــد النظـــر إلـــي، ومـــنهم مـــن يضـــع يديـــه علـــى رأســـه متعجبـــا مـــن أمـــر ســـيء قـــد وقـــع أو كـــاد يقـــع، وكثيـــر مـــن الأيـــدي تتســـاقط ممتـــدة إلـــي، منهـــا مـــن تشـــير إلـــي تبتغـــي التقـــاطي وأخـــرى لشـــيء ورائـــي ترجـــوا إيقافـــه فتـــداركت الأمـــر بســـرعة وعلـــى

عجالـــة أســـتدير لأرى نفســـي مندهشـــا أيضـــا والـــدم يكـــاد ينقطـــع مـــن محيـــاي، حافلـــة تقـــف ورائـــي توشـــك علـــى لمـــس رجـــلاي مـــن الخلـــف قريبـــة بمقـــدمتها لظهـــري، تكـــاد تقســـم ظهـــري فأصـــعد بنظـــري إلـــى الســـائق الـــذي يصـــب غضـــبه علـــي بوجهـــه الأحمـــر مكشرا عن أسنانه ويصرخ بقوة قائلا:

-أأنـــت أحمـــق أم مـــاذا ؟ أنظـــر أيـــن تقـــف ؟ و أين تمشي؟

فنظـــرت مـــن حـــولي لأجـــد نفســـي وســـط طريـــق تعـــج بالســـيارات، بعيـــدا عـــن ممـــر الـــراجلين، أقطعهـــا بتـــأني ولا أبـــالي، ومـــن حسن حظي أنني لازلت حيا.

-آســـف فقـــط هاتـــه الكلمـــة التـــي إســـتطعت أن أقولهـــا للســـائق، ومـــا عســـاني أقـــول وقـــد

اقترفـــت فـــي حـــق الرجـــل إثمـــا مميتـــا وفـــي حقـــي حيـــاة لـــم أبـــالي بهـــا قـــط، لكـــن شـــدني التفكيـــر فـــي الحادثـــة، فأنـــا لا ألـــوم نفســـي، فكـــل هـــذا بســـبب ذلـــك المنـــافق تومـــاس " مخاطبـــا نفســـي" أرأيـــت مـــا فعلتـــه بـــي، كـــدت تقتلنـــــي؟، جعلتنـــــي أفكـــــر فيـــــك أكثـــــر ممـــــا تســـــتحق تبـــــا كـــــم أنـــــت ســـــيء، صـــــدقني لوكنـــــت أمـــــامي الآن لصـــــفعتك، مـــــا الـــــذي يحصـــــل لـــــي؟ لمـــــاذا أتيـــــت إلـــي،هـــل هـــي صـــدفة أم جئـــت متعمـــدا لتعـــذبني؟ كـــل هـــذه التســـاؤلات تجـــول فـــي رأســـي و تمـــر علـــي فـــي ثـــوان قليلـــة شـــبيهة بشـــريط ذكريـــات الحيـــاة فـــي ســـكرات المـــوت، أكملـــت طريقـــي إلـــى أن وصـــلت للجامعـــة، تـــذكرت أصـــدقائي فـــأردت أن ألقـــي التحيـــة، اشـــتقت إليهم،إلـــى

ضـــحكاتهم وكلامهـــم، فاتصـــلت بهـــم علـــى عجـــل ليخبرونـــي أنهـــم مـــا لبثـــوا أن بـــدؤوا الحـــديث عنـــي، أخبرونـــي أنهـــم فـــي الطـــابق العلـــوي مـــن المكتبـــة، فتبســـمت وقلـــت فـــي نفســـي عجبـــا ليـــوم الصـــدف هـــذا، وبالفعـــل صـــعدت مســـرعا إلـــى المكتبـــة، لطالمـــا حفظـــت طريقهـــا لمـــا كنـــت أفضـــل اللجـــوء إليهـــا فـــي كـــل مـــرة، وعلـــى طـــاولتي المفضـــلة ألمـــح كـــلا مـــن أصـــدقائي آرثـــر و بجانبـــه فتـــاة إســـمها مايـــا ويقـــابلهم ســـميث ومكـــان فارغ،وبالفعـــل كمـــا تخمنـــون فقـــد جلســـت فـــي المكـــان الفـــارغ بجانـــب ســـميث "ســـميث إنســـان إجتمـــاعي جـــدا فـــي نفـــس عمـــري يملـــك روحـــا مرحـــة، أينمـــا يكـــون يـــزرع البهجـــة والســـرور تـــروق لـــي

شخصــيته الحنونــة علــى غيــر آرثــر مــتجهم الوجــه لــه نظــرات ثاقبــة فــي نظــره كــل الأشــياء تافهــة، قليــل الكــلام لكنــه يحــب أصــدقاءه، فــلا أراه يخطــو بــدون ســميث ولا أعلــم عــن مايــا ســوى أنهــا ذكيــة وصــديقة جديــدة لســميث ودائمــا مــا تتحصل على أعلى الدرجات في الصف"

سميث بصوته الحنون :

-كيف حالك مايكل؟

-بخيــر قلتهــا بصــوت حــزين ..وأنــتم كيــف حالكم؟

-بخير.

-مايــا بنظــرات اســتحياء لا تكــاد ترفــع رأســها تقــول لــي :"تبــدو متعبــا ..أيريحــك الجلوس هنا؟"

سميث يقول:

-مـــا هـــذا الكـــلام يـــا مايـــا لا يوجـــد مـــا يـــريح مايكل أكثر من الجلوس معنا

-"معـــه حـــق و إنـــي متعـــب لأننـــي أتيـــت سيرا على الأقدام للجامعة"

-مايـــا :" أيشـــغل بالـــك شـــيء مـــا؟ أخبرنـــا كلنا آذان صاغية".

آرثـــر بوجهـــه الجميـــل بـــدون أن يتفـــوه بكلمـــة يمـــرر عينيـــه لكلانـــا بنظـــرات ثقيلـــة كأنـــه يتـــابع حـــوارا فـــي التلفـــزة أو مســـرحية لقاء الأحبة.

كالعـــادة يجيبهـــا ســـميث مكـــاني بصـــوته العطوف قائلا :

-"لا تبـــالي يـــا مايا،إعتـــدنا علـــى مايكـــل هكـــذا، لا نعلـــم مـــا يجـــول فـــي ذهنـــه؛ كتـــوم

وصـــــريح، متنـــــاقض و خفيـــــف، مشـــــوش كأيام الخريف.

-ألا يعتقتـــــي مـــــن نظراتـــــه؟ مـــــا خطبـــــه اليـــــوم آرثـــر؟ أعلـــم أنـــك قليـــل الكـــلام، لكـــن لا أفقـــه شـــيئا مـــن هـــذه الأعـــين، و هـــذه النظـــرة الثقيلـــة الموجهـــة لـــي، مـــا بـــه يـــا تـــرى، قلـــت في نفسي هكذا ؟

ثم خاطبته:

-"أنا بخير مايا، لا تهتمي، شكرا لك "

-يــــا لعطفــــك !لا أرى منــــك ســــوى الأدب والخجل والدهاء.

-بخجل ترد بتدخل على سميث بشكرا.

تحـــدثنا عـــن أحوالنـــا، تفقـــدنا أنفســـنا، ســـألنا بعضـــنا ضـــحكنا علـــى حكايـــات ســـميث التـــي لا نمـــل منهـــا، فلـــو كـــان فـــي مجـــال المســـرح

لحظـــي علـــى كثيـــر مـــن المعجبـــين، و لكـــان بطـــل المســـرح، ليدهشـــنا صـــديقنا الكتـــوم آرثـــر بفـــتح محفظتـــه الأنيقـــة التـــي تبـــدو مـــن طـــراز أجنبـــي تحمـــل ماركـــات عالميـــة شـــبيهة بمحفظـــة علمـــاء فيزيـــاء القـــدم ليخـــرج منهـــا كتابـــا جديـــدا أهـــداه لمايـــا مـــع ابتســـامة جميلـــة، فـــآرثر وســـيم حقـــا لـــه بنيـــة جميلـــة و جســـم قـــوي، طويـــل القامـــة رياضـــي، يرســـم أعـــلاه وجهـــا جمـــيلا ذو ملامـــح حـــادة و أعـــين براقـــة قـــد تقتـــل المتمعن فيها من الفضول.

مـــد لهـــا الكتـــاب قـــائلا بلهجـــة أهـــل المـــدن المتحضرة وصوته الحاد:

-" تفضـــلي مايـــا، ذات يـــوم صـــادفت فـــي طريقـــي افتتـــاح معـــرض بيـــع الكتـــب فأحببـــت

أن أشـــتريه لـــك لأنـــي أعلـــم شـــغفك الكبيـــر بالكتب.

تـــرد عليـــه مايـــا وهـــي مقلـــدة لهجتـــه وبلغـــة انجليزية أصيلة قائلة:

-" ثـــانكيو آرثـــر"، وخـــداها كحبـــات الكـــرز احمرارا من الخجل .

-العفـــو، هـــذا لا شـــيء . أشـــعر علـــى يمينـــي بـــريح حـــار تخـــرج مـــن أنـــف ســـميث، كـــأن بركانـــا إشـــتعل فـــي جوفـــه لا تطفئـــه تســـونامي و لا شـــتاء زمـــن نـــوح، ويليـــه شـــهيق قـــوي كـــاد أن يفـــرغ الهـــواء مـــن حولنـــا، مـــا بـــك ســـميث؟ ســـألته مـــع أننـــي قـــد حللـــت الوضـــع فـــي ثـــوان، إمـــا أن تكـــون كرهـــا لآرثـــر، أم غيـــرة علـــى مايـــا. لا يبـــدي أي تجـــاوب، كـــل مـــا أراه وجـــه غاضـــب

يلقـــي نـــاره علـــيهم، يفـــرز مـــن وجهـــه ظلمـــة فوقهم لا تنيرها شمس الصباح.

-هههههـــه حقـــا ؟؟ أخجلتنـــي آرثـــر، هكـــذا تجاوبت مايا مع الموقف.

آرثـــر فـــي وشوشـــة مـــع مايـــا لا يكـــاد يســـمع إلا بعـــــض الكلمـــــات، وضـــــحكاتها الخجولـــــة،هما لا يريـــــان غضـــب ســـميث وتـــوتره، وهـــذا الأخيـــر لا يعيرنـــي أي انتبـــاه و أنا لازلت اسأله :

-سميث يا صديقي، ما بك تغير وجهك؟"

-لا شـــيء مايكـــل، كـــل مـــا فـــي الأمـــر أننـــي سأصاب بحمى فالجو هنا لا يساعدني.

-" عـــن أي جـــو تتحـــدث؟ "جـــو الجلســـة أم جـــو المدينـــة، بـــل عـــن أي حمـــى تتحـــدث، حمـــــى المـــــرض أم حمـــــى الحـــــب؟" لا

سأزعجه بكلامي هذا وأنا لازلت غير متأكد من تحليلي للموقف "فكان أفضل حل وجدته هو إعادة لم الحديث معا.

-آرثر آرثر يا صديقي ...

-نعم مايكل

-هل لك أن ترينا أي نوع من الكتب قدمته لمايا، أصابني الفضول ولعل سميث كذلك

-تفضل

-شكرا.

-مممممم كتاب جميل .... ما كدت أكمل إعجابي بالكتاب حتى سلبه مني سميث بسرعة كما لو أن صقرا انقض على فريسته موجها نظره للعنوان وعيناه تدققان كل حرف فيه. لم أر صديقي

سـميث يومـا متلهفـا لقـراءة الكتـب بـل انـه لا يهـتم أصـلا بالمطالعـة، تعجـب مـن تصـرفه حتـى بـي، ثـم وجهـت نظـري للـوجهين اللـذان يقـابلانني و ينظـران نحـو سـميث إلـى أن قـال بصـوته العطـوف وجسـده الـذي أشـعر بـه ثقـيلا علـى الأرض:

-أأعجبك هذا الكتاب؟

قالت بصوتها المملوء بالسعادة :

-"نعـم، فكـل كتـاب لـه مغـزى و فائـدة، والهديـة أيـا كانـت بهـا أرضـى " و أنـا فـي نفسي أندهش من طلاقة اللغة

يرد آرثر:"ثانكيو "،

مايـا تجيبـه :"هـي أنـا مـن يجـب أن يشكرك".

نظـــرت الـــى ســـميث فـــأرى انكســـاره ظـــاهرا على محياه

-تفضلي مايا حقا إنه لكتاب رائع"

-شـــكرا" ســـميث" بـــل اشـــكري آرثـــر هـــو مـــن اختار العنوان و أهداك الكتاب.

-لا فـــرق بينكمـــا يـــا ســـميث، فأنـــت أيضـــا صـــديقي، توســـط حـــديثهما نظـــرات آرثـــر التـــي لا أراه تفـــارق أحـــدا منهمـــا، أحسســـت أن هنـــاك شـــيء لا أعرفـــه يـــدور بـــين هـــؤلاء الثلاثـــة، وبينمـــا أنـــا مســـتغرق فـــي تفكيري،بـــدأ ســـميث يرتـــب أوراقـــه ويضـــعهم فـــي محفظتـــه كأنـــه يرتـــب لســـفر ورأيت باله منشغلا في شيء لا أعرفه.

فسألته:

-إلى أين يا صديقي؟

بوجه الخذلان يجيب :

-أريد أن أحتسي بعض القهوة.

مايـــا وصـــوتها المتغيـــر مـــن الحـــاد للحنـــون فجأة:

-"أتتركنـــا وحـــدنا ولـــم يلبـــث علـــى مجيـــئ مايكل سوى دقائق؟

ســـميث:" تريـــث ولا تحرمنـــا مـــن مزاحـــك، أرجوك آرثر"

لا يـــتكلم فقـــط يتفـــنن فـــي مراقبـــة الأحـــداث وأنـــا لازلـــت لا أفهـــم مايـــا ومـــا الـــذي يجـــري فيقـــــاطعني المتخصـــــص فـــــي المقاطعـــــة بصوته الرقيق:

-لنـــا وقـــت آخـــر مايـــا، إنتظـــر ســـميث ســـآتي معـــك فحبـــي للقهـــوة كحبـــي لصـــداقتنا " أحببـــت الـــذهاب معـــه لأعلـــم مـــا يـــدور

هنا،كمـــا وددت أن أعـــرف شخصـــية مايـــا، فســـميث أقـــرب إلـــي مـــن آرثـــر ولا يخفـــي عني شيئا.

-حســنا، هــذا كــل مــا قالــه صــديقي المقــرب ومشـــى أمـــامي بخطـــوات طويلـــة كطولـــه وبخفـــة يبـــدو للنـــاظر كأنـــه يطفـــو فـــي غيـــوم اليـــأس، ورأســـه متجـــه قلـــيلا للســـماء فـــلا يبـــالي قطعـــا بمـــن حولـــه، وأنـــا وراءه أخطـــو مســـرعا ولا أكـــاد أبلغـــه وحـــولي جملـــة مـــن التســـاؤلات التـــي لا أعـــرف إجابـــة لهـــا، مـــا بالـــه صـــديقي، أنســـي أننـــي معـــه؟، لـــم أرد أن أقطـــع تفكيـــره، فهـــو قطعـــا عـــالق مثلـــي فـــي بعـــض مـــن خيالـــه، لكنـــه صـــديقي وعلـــي فعل شيء ما لأجله.

-سميث يا سميث

يلتفت بنظرة حزينة و يصمت.

-صديقي ما الذي يشغل بالك؟ ما كل هذا الحزن الذي اعتراك فجأة؟

سميث موجها نظره لليمين بصوت متألم:

-" إنها القهوة يا مايكل".

-لكن طريق النادي ليس من هنا، أشير بيدي إلى أقرب طريق له.

بصوته الرقيق يرد أيضا :

-"لا تؤاخذني قد نسيت".

-"لا عليك".

وصلنا للنادي، فكنت أول من طلب قهوتان، وضعتهما على مائدة عريضة ذات خشب غليظ، لا يوجد بها كراس

مثلهـــا مثـــل طـــاولات المخـــامر، وضـــعت قليلا من السكر لي وسألته:

-بكم قطعة تريدها سميث؟

-لا تضع، دعها مرة.

-أهنـــاك مـــن يحتســـي قهـــوة مـــرة هـــذا الوقت؟

-نعم أنا.

اندهشـــت حقـــا لكلامـــه، ومـــا أدهشـــني أكثـــر رشـــفته الأولـــى للقهـــوة الســـاخنة ســـخون البركـــان، يشـــربها كأنـــه يســـلب منهـــا الـــروح، أهـــذا هـــو صـــديقي العطـــوف! مـــا بـــه؟ أزعجنـــي تغيـــره وأغضـــبني جـــدا لدرجـــة أننـــي جذبتـــه مـــن صـــدره إلـــي وقلـــت له بصوت أسمع كل الحضور :

-مـــا بـــك؟ أخبرنـــي ســـميث، لا تغضـــبني لا تصـــمت.. إن لـــم تـــتكلم لكمتـــك لكمـــة أرج بهـــا عقلـــك رجـــا، هززتـــه هـــزا لعـــل الكلمـــات تخرج من فيه، تكلم يا رجل ما بك؟

-دعني أنت لا تعلم ما يجري

-أنا لست صديقك أتفهم ؟

لاحظـــت أننـــي أخنقـــه فنزعـــت يـــدي وتأســـفت لفعلي و قلت له :

-كما يحلو لك أنا ذاهب.

بصـــوته الهـــادئ الـــذي يـــوحي بـــالأدب والتربية:

-سأخبرك تعال

-كلـــي آذان صـــاغية أنـــت أعـــز مـــا أملـــك تفضل .

إســـتند بظهـــره للحـــائط يـــرد أنفاســـه ويرشـــف بعـــض القهـــوة كأنهـــا مـــن ســـتمده بالقوة وقال:

-"قبـــل بضـــعة أشـــهر مـــن بـــدايتنا لهـــذه السنة تعرفت على مايا".

-قاطعتـــه كيـــف كـــان ذلـــك؟ فأنـــا أحـــب أن اعرف كل التفاصيل.

-إلتقيـــت بهـــا إثـــر حضـــوري لاحتفـــال الســـادس عشـــر مـــن أفريـــل احتفـــال يـــوم العلـــم الـــذي أقامتـــه الجامعـــة، عرضـــت فيـــه بعـــض الكتـــب، فكنـــت أتجـــول هنـــاك أنفـــس عـــن خـــاطري،و إثـــر تجـــوالي فـــي القاعـــة أرى طفلـــة جميلـــة تحـــدق فـــي الكتـــب وبريـــق عينيهـــا يظهـــر للعيـــان، فاســـتغربت فـــي نفســـي لأنـــاس كهـــذه كيـــف لهـــم أن يتعلقـــوا

بالكتـــب؟ ومـــا الـــذي يجـــذبهم نحوهـــا ؟ و مـــا الفائـــدة منهـــا ؟ فـــذهبت بجانبهـــا لعلـــي أفهـــم شخصـــــيتها، وأســـــقطها علـــــى الآخـــــرين. فادعيـــت أننـــي أريـــد شـــراء كتـــاب وبنظـــرة خاطفـــــة لمحـــــت عنـــــوان كتـــــاب أعجبنـــــي وبمجـــــرد أن حملتـــــه ،قـــــال لـــــي البـــــائع بابتسامة مميزة:

-اختيار موفق يا طالب .

-شكرا.

هنـــاك التفـــت إلـــي ذاك الوجـــه الجميـــل الـــذي يحـــدق بعينيـــه الجميلتـــين فـــي الكتـــاب تريـــد أن تعـــرف و تقـــرأ عنوانـــه، فكانـــت فرصـــتي للكلام معها،ولم أكن لأضيعها.

-أيعجبك هذا الكتاب؟

قالت ووجهها غارق في الخجل :

-كنت أبحث عنه .

-أتريدينه؟

-نعم.

-لماذا ؟

-لأنه يلهمني بعض الشيء.

-كم ثمنه أيها البائع ؟

-آسف هو ملك لزبون آخر اشتراه قبلك و تركه،لم أرد حرمانك من الاطلاع عليه، آسف.

-لا تتأسف، أنا أصلا لست من هواة القراءة قلتها مبتسما.

رأيت مايا تتأسف للكتاب و كأنها حزنت لفراق عزيز عليها،

-كنت تريدين شراءه ؟

-نعم.

-حســـنا، ســـأحرص علـــى أن اشـــتري لـــك واحدا

-شكرا لك.

ثـــم دار بيننـــا حـــوار وتتالـــت الأيـــام، تعرفـــت عليهـــا جيـــدا إلـــى أن حـــدث مـــا حـــدث، وقعـــت فـــي حبهـــا دون أن أشـــعر؛ مايـــا كانـــت تحســـن إلـــي، لكلامهـــا وقـــع خـــاص علـــى قلبـــي، عنـــدما تحـــدثني أشـــعر أننـــي أســـرح فـــي عـــالم اللغـــة و الشـــعر و الغـــزل، أحســـب نفســـي أعـــيش لـــلأزل، أخبـــرت صـــديقي آرثـــر بقصـــتي مـــع مايـــا وكيـــف التقينـــا و الـــى مـــا وصـــلنا لكنـــك تعلـــم وانـــا أعلـــم انـــه قليـــل الكلام، فكان تجاوبه بجميل فقط و سكت.

قاطعته قائلا:

-كيف تبدو شخصية مايا يا سميث؟
تعلمون أنني فضولي لمعرفة شخصية الآخرين ليسهل علي تحليل أحداث الحياة" فبدأ الشاعر سميث يصف حب حياته كنوع من الغزل أجمل من مدح الملوك"

-هي إمرأة ذكية جدا، كل تصرفاتها منظمة ومرتبة، في حديثها تنتقي أفضل الكلمات و أحسنها.

كم هي عطوفة، فلا يمر يوم لا تسأل فيه عن حالي، ولن أخبرك عن جمالها لأنك رأيت بعينك سحر جمالها وخجلها.

-أأخبرتها بحبك لها؟

-يقول بحزن نعم.

-إذن؟

-لـــم تقـــل شـــيئا ســـوى أن وجههـــا احمـــر خجلا، لم أرد إزعاجها.

-مـــاذا عـــن آرثـــر مـــا شـــأنه وشـــأنها ؟و مـــاذا عن الكتاب الذي أغضبك ؟

كانـــت نـــار الغضـــب تلـــتهم وجـــه ســـميث وهـــو يقول :

-"ذاك الآرثر هو سبب جنوني. "

-كيف ؟

-بعـــدما حدثتـــه عـــن مايـــا و عرفتـــه عليهـــا أخبرتـــه أننـــي أحبهـــا ....إلا أننـــي أرى مايـــا تبـــدو متعلقـــة بـــه، وذاك الكتـــاب هـــو نفســـه الكتـــاب الـــذي كنـــت سأشـــتريه لهـــا، لـــم أفهـــم شـــيء لمـــاذا لـــم تـــذكر مايـــا ذلـــك الحـــدث القـــديم، فقـــد كانـــت ســـعيدة جـــدا بـــه، لمـــاذا

فعـل بـي آرثـر هـذا ؟ وقـد أخبرتـه بقصـتي معها ؟ حتى أنا لا أعلم ما الذي يجري

-أقرأت ذاك الكتاب يوما ؟

-لا.

-سـميث يـا صـديقي أنـا أعرفـه مـن عنوانـه أنا قرأته من قبل يا سميث

-حقـــاااا ؟؟؟؟ ولمـــاذا لـــم تخبرنـــا آن ذاك ؟؟ عن ماذا يتكلم ؟

-كنـت منشـغلا فـي تحليـل الوضـع و حـرارة المكان أفقدتني التركيز .

-عـن مـاذا يـتكلم يـا مايكـل ؟اخبرنـي قبـل أن ينفذ صبري

-يـتكلم عـن رواة فـي عصـرنا يتكلمـون عن ..." قاطعني سميث متبسما قائلا "

-مايـــا هـــي أيضـــا راويـــة " ،ولكـــم أن تصـــفوا حالتي وقتها ... ماذا تقول ؟؟

-إنهـــا راويـــة كمـــا أن لهـــا روايـــات عـــدة وجميلة

كـــأن شـــوكة وخـــزت قلبـــي وغرقـــت فـــي مـــالا نهايـــة مـــن الأفكـــار .. إختلطـــت علـــي الأفكار،

أولا يأتي توماس ليفسد يومي ثم مايا.

-مايكـــل مايكـــل مـــا بـــك صـــديقي أأشـــفقت على حالي ؟ حسنا لا تبالي

-بل أشفق على عقلك البائس

-لماذا ما الذي تقوله ؟

-أهناك من يعشق راوية يا صديقي؟

-وما الضرر في ذلك؟

-أتـــدرك معنـــى ان تكـــون راويـــة ؟ أتعلـــم لماذا لم تبادلك نفس الشعور والحب؟

-مايكـــل بـــالله عليـــك، الله الله علـــى قلبـــي " يقولهـــا وهـــو حـــزين كـــأنني لمســـت موقـــع الجرح في قلبه "

-حسنا يا سميث لا ألومك.

-مايكـــل لا عليـــك، فقـــط أخبرنـــي مـــا علاقـــة مايا بالراوية و ما علاقة الحب بهم

-مايـــا هـــي راويـــة و كصـــديقي تومـــاس تمامـــا، فكـــل مـــا يهمهمـــا هـــو تكملـــة الروايـــة، بالنســـبة لهـــا أنـــت مجـــرد شخصـــية ثانويـــة فـــي الروايـــة أنـــت كلمـــة مـــن حبـــر، أنـــت مـــن مـــلأت بـــك فـــراغ ورقتهـــا، و ســـودت أســـطرها بحكايتـــك، كـــل قطـــرة تقـــع مـــن حبرهـــا هـــي ترجمـــة لحـــدث عشـــته معهـــا،

بمعنـــى كـــل أحاسيســـها مصـــطنعة، هـــي كاذبـــة تـــدعي ذلـــك لأنهـــا إعتـــادت علـــى تجســـيد عـــدة شخصـــيات و التلاعـــب بهـــا فـــلا يصـــعب عليهـــا ذلـــك فـــي الواقـــع و لـــم تـــرد إجابتـــك بـــلا أحبـــك لتبقـــى معلقـــا فـــي روايتهـــا، و دائمـــا مـــا تتـــرك لـــك عنصـــر التشـــويق فيهـــا، فاســـتغلت الجانـــب الحساس منك وكان ذلك هو آرثر

-كيـــف ؟ مـــا أدراك وهمـــا لـــم يلتقيـــا إلا مرتين ؟

-علمـــت ذلـــك بعـــدما قـــرأت الفصـــل الرابـــع مـــن الكتـــاب وأدركـــت ذلـــك لأنهـــا متلهفـــة لقراءته.

-كتاب آرثر ؟

-نعم

-هل يتكلم عن مايا ؟

-بل عن الرواة

-وما شأن مايا؟

-هي مثلهم

-كيف ؟

-مـــا يهمهـــا تكملـــة الروايـــة، لا تهمهـــا أنـــت ولا غيـــرك، قـــد تكـــون حـــين أخبرتهـــا بحبـــك ســـارحة فـــي خيالهـــا عـــن أحـــداث مشـــوقة، باحثـــة عـــن حكايـــات جديـــدة، هـــي لا تهـــتم بـــك ولا تشـــعر بـــك حولهـــا حتـــى وان شـــعرت ســـتبالغ فـــي وصـــف شـــعورها تطبعـــا لا غيـــر إرضـــاء لقلبـــك فقـــط ؛كـــي لا تفقـــدك وقـــد تكـــون أنـــت فصـــلا فتحبـــك أكثـــر أو ســـطرا لا ترميـــك الا بعـــد إنتهائـــه،او عنوانـــا يجمـــل كتابها، أو مجرد فكرة في بحر خيالها.

-أحسست بصدق كلامك فلطالما لاحظت شرودها الكثير، ولباقتها في الكلام، فقد كان ذاك ما جذب آرثر لها أيضا .

-لا شك في ذلك، أإنه لشيء محير أن يقع صديقان في حب إمراة واحدة .

-فماذا أنا فاعل الآن؟

-لا شيء يا صديقي، أنت اليوم ضحية عشق الراوية، كل ما يسعك فعله أن تترجاها لتجعل نهايتك سعيدة معها، أو تجعل قصتك عبرة لمن يعشق الكتاب، أو تطلع على كتاب آرثر لعلك تغير شيئا من قصتك.

-شكرا مايكل، لولاك لبقيت محبوسا في غرفة الحب المزيف هذا، سأحاول

تجـــاوز الأمـــر ونســـيانها كمـــا أننـــي ســـأحاول قراءة الكتاب.

-أعلم أنك رجل عاقل كان الله في عونك.

-شـــكرا. " ثـــم ســـألني بارتيـــاح أتـــأتي معـــي يا صديقي."

-إلى أين ؟

-أريـــد الرجـــوع إلـــيهم لأودعهـــم و أذهـــب إلـــى المنـــزل فالدراســـة علـــى وشـــك الانتهـــاء واقترب غلق أبواب الجامعة كما تعلم.

-بالتأكيد.

" بعـــد وصـــولنا صـــادفنا خـــروج آرثـــر ومايـــا و ضحكاتهم تتعالى، فنظرا إلينا و قالا:

-مرحبا إلى أين

قلـــت: جئنـــا لتوديعكمـــا و نظـــرت لســـميث فرأيتـــه غارقـــا فـــي التفكيـــر فعلمـــت أنـــه سيجد صعوبة في تجاوز الأمر.

قـــال آرثـــر:" حســـنا، نحـــن أيضـــا ذاهبـــان للمنزل، وقت المكتبة انتهى".

نظـــر إلـــي ســـميث فغمزتـــه هـــي الأخـــرى ففهم الأمر وقال :

-رافقتكم السلامة.

" و أمســـك بـــي ولفنـــي للـــوراء واضـــعا يـــده على كتفي مبتسما :

- لنذهب يا صديقي.

اندهشـــت لفعلـــه هـــذا ووليـــت وجهـــي للـــوراء لتصـــفعني نظـــرات مايـــا الغاضـــبة كأنهـــا تهـــددني تريـــد قتلـــي أو لأننـــي أيقظـــت ضـــحية روايتهـــا لأنـــه كـــان بطلهـــا ،لا تفلتتنـــي

مايـــا، لا تعتقنـــي بنظراتهـــا،حيرني أمرهـــا، و مـــا شـــد تفكيـــري الـــذي كـــاد يفقـــد عقلـــي هـــو " لمـــاذا يحـــدث كـــل هـــذا لـــي؟ هـــل هـــي صـــدفة أن ألتقـــي براويـــة ؟؟ و أعـــيش كـــل هذه الأحداث .. "

الفصل الثالث

" النزاع الداخلى"

ودعــت صــديقي و عــدت أدراجـــي للمنـــزل لا اعلـــم كيـــف وصـــلت و متـــى ! فقـــط أجـــد نفســـي مســـتلقيا علـــى ظهـــري فـــي فراشـــي موليـــا وجهـــي للســـقف، تمنعنـــي عتمـــة الغرفـــة مـــن رؤيتـــه جيـــدا، وكـــل مـــا يخطـــر فـــي بـــالي تومـــاس وآرثـــر وســـميث و مايـــا، و تتـــابع الأحـــداث وترابطهـــا مـــع بعضـــها، إلـــى أن بـــدأ شـــريط ذكريـــاتي بالعمـــل يشـــتغل أمـــامي، فهـــذا أنـــا، دائمـــا مـــا أكـــون ســـارحا فـــي خيـــالي وتحليـــل شخصـــية الآخـــرين الـــذين يحيطـــون بـــي، وتفســـير بعـــض الظـــواهر الطبيعيـــة التـــي أمـــر بهـــا، فالشـــريط يرجـــع بـــي إلـــى الماضـــي، هـــذه اللحظـــة شـــبيهة بوقـــت انســـلاخ الـــروح مـــن الجســـد،

عنـــدما يبـــدأ فـــيلم حيـــاتي يمـــر أمـــام عينـــاي كقطـــار ســـريع لـــه عـــدة محطـــات و كـــل محطـــة تمثـــل حـــدثا، وكـــل حـــدث كنـــت أحللـــه بتفاصـــيله، وكانـــت المحطـــة الأولـــى هـــي لقـــاء أحبتـــي، الشـــريط علـــى عكـــس المنطـــق فهـــو يســـير للـــوراء، و المحطـــة التـــي تتلوهـــا هـــي أحـــداث صـــديقي تومـــاس، ثـــم يتســـارع القطـــار، وينطلـــق إلـــى محطـــات أقـــدم كنـــت قـــد نسـيتها لكنهـــا لـــم تنســـاني هـــي لأنهـــا أثـــرت فـــي نفســـي كثيـــرا، و مـــا كنـــت لأســـتطيع أن أقـــود القطـــار أبـــدا، لكـــن يمكننـــي أن أوقفـــه فـــي بعـــض الأحيـــان عنـــدما يمـــر علـــي موقـــف لـــم أجـــد لـــه تفســـيرا مـــن قبـــل، و مـــن بـــين المحطـــات التـــي شـــدت تفكيـــري هـــي محطـــة أجـــد فيهـــا نفســـي

أتمشـــى و أخمـــن فـــي الأقـــدار والأســـباب محصـــورا وحـــائرا أقـــول ":أهـــي صـــدفة أم لهـــا علاقـــة مرتبطـــة بـــي؟، مـــا جعلنـــي فـــي هـــذه المحطـــة أتســـاءل؛ أننـــي فـــي هـــذا اليـــوم مـــن الماضـــي كنـــت أتمشـــى بـــلا وجهـــة محـــددة، لا أصـــب نظـــري لأي كـــان، وكيـــف أفعـــل ذلـــك وأنـــا غـــارق فـــي خيـــالي، فتســـاءلت عـــن علاقـــة وســـبب رؤيتـــي للورقـــة التـــي تســـقط بتـــأني مـــن الشـــجر، لمـــاذا وقـــع نظـــري عليهـــا؟، بـــل لمـــاذا ألمـــح رجـــلا مـــن بعيـــد ينـــزل منحـــدرا، و لمـــاذا أرى نملـــة تحمـــل حبـــة قمـــح تمشـــي بهـــا علـــى عجـــل، وعنـــدما أولـــي وجهـــي للســـماء أرى طيـــورا تفعـــل بعـــض الأمـــور، أرى غيمـــا يشـــكل شـــكلا لا أعـــرف معنـــاه، ثـــم مـــا

علاقـــــة رؤيـــاي للشـــــهاب؟ وكيـــف لمحتـــــه رغـــم ســـرعته؟ أقصـــد لمـــاذا لمحتـــه أصـــلا؟، لمـــاذا ألمـــح أمـــورا كهـــذه؟، هـــل لهـــا علاقـــة بحيـــــاتي،؟ أم هـــــي رســـــائل ذات معنـــــى ؟أم هـــي مجـــرد لاشـــيء؟ كـــل هـــذه التســـاؤلات تأتيني في لحظه.

هنـــا انطلـــق القطـــار مـــرة أخـــرى، و غيـــرت الشـــــريط، أردت أن أرجعـــــه للـــــوراء لكـــــن تـــارة أختـــار أنـــا، وتـــارة يختـــار هـــو، فرمـــى بي هذه المرة أمام توماس وهو يسألني:

-مايكل يا صديقي عندي سؤال لك

-تفضل

-هـــل اللـــون الأحمـــر فـــي نظـــرك هـــو نفـــس اللـــون الأحمـــر فـــي نظـــري؟ أم نـــرى ألوانـــا مختلفة فقط تتفق في الاسم؟

تبسمت لسؤاله قبل الإجابة لأنني لم أكن أظن أن هناك بعض الناس تخمن كتخميني وقلت :

-لا أعلم

-أمر محير حقا، قالها ثم رحل عن مخيلتي.

" لا أخفي عنكم أنه كل ما دار في رأسي هذا السؤال يحيرني، فلماذا سألني هكذا؟ و لماذا هذا السؤال؟ و تتبعه فرضيات مؤقتة لم يثبت صحتها في نظري، منها:هل سبب سؤاله هذا هو معرفته لما أخفيه،أم لأنه راوي وكل الرواة محبوسون في مثل هذه الأفكار؟

ومازال الشريط يرجع و القطار يسرع للوراء لأوقفه في محطة أخرى، لطالما

كانــت الجــزء المفضــل فــي حيــاتي نعــم هــي أجمـــل محطـــة لـــي لأنهـــا متعلقـــة بقلبي،ليســت ككــل المحطــات الأخــرى، كــل مـــا أراه فيهـــا هـــي مـــرور هاتـــه الجميلـــة التـــي لا أعرفهـــا أمـــامي وجلوســـها بقربـــي، نظـــرت لنظراتهـــا، لخجلهـــا، للوحـــة الفنيـــة التـــي ترســـم فـــي وجههـــا كأنهـــا ملكـــة، شـــدني وجههـــا الفردوســـي، وصـــفاء روحهـــا التـــي تظهـــر للعيـــان مـــن لباســـها، حركاتهـــا الدقيقـــة التـــي تبدوســـاكنة للناس،وفوضـــوية فـــي عينـــي، لأنـــي عنـــدما أعجـــب بشـــيء ألمـــح مـــا يلمحـــه الصـــقر فـــي الحـــرث، كـــل هـــذا الانجـــذاب الـــذي أحدثتـــه هـــذه المـــلاك، لكـــن لـــو تـــرى لـــوجهي لمـــا رأيتنـــي أبـــدي أي ملامـــح تـــدل علـــى علامـــات الإعجـــاب، لكـــن

السـؤال الـذي يشـغل بـالي أهـي تعلـم أننـي كنـت أألـف عنهـا شـعرا وقصـائد فـي داخلـي ؟ فمـاذا لـو علمـت ؟ بـل مـا الـذي جعلهـا تقـف أمـامي؟ وهـل تصـدق إن قيـل لهـا يومـا أن هنـاك مـن ألـف لـك شـعرا مـن شخص لا تعرفينه ولا هو يعرفك؟

وكالعـادة يأخـذ القطـار مـرة أخـرى مقـود الفـيلم و أداة تحكـم الشـريط ليقـذفني فـي متاهـة المحطـة المقبلـة لتعـود مايـا فتقـولي لي:

-" سـؤال محيـر لكـم، لكنـه بالنسـبة لـي مجـرد محطـة مـن شـريط عقلـي لـم يتحلـل بعد "

-مـاذا لـو ان لكـل شـخص عالمـه الخـاص؟، لكـل منـا نفـس عـالم الآخـر؟ لكـل منـا كوكبـه

الخاص، و سخر له نفس العوالم و نفس ما فيها من جبال و انهار وغابات، و الأهم من ذلك نفس الأنفس ؟

-وان كان يا مايا هذا صحيح،إذن لماذا دخلت عالمي و غيرت نهاية روايتي؟

-كيف؟

-كنت أنت من أيقظ سميث فتغير آرثر من بعدها فأفسدت نهاية الرواية، لماذا أخبرته بالفصل الرابع ؟ حتى أنا لم أجد تفسيرا لهذا الحدث وفزعت و هربت للقطار لأغير الشريط أبحث عن حدث يريح عقلي، فلم يستجب لي بل قام هو الأخير بفرض نفسه علي،حاولت إيقافه لكن سرعته فاقت قدرتي فاستسلمت له، وبعد محطات

متتاليـــة، أخـــذني لمحطـــة لا أعلـــم مـــا هـــي فقط اسمع فيها أصواتا تقول:

-ما الذي أفعله هنا ليلا؟

-توماس منافق وراو كاذب؟

-سميث وآرثر ضحايا المخادعة مايا؟

كلهـــم يوجهـــون نظـــراتهم إلـــي و بصـــوت واحد يقولون :

-"قل ما عنوان الرواية"؟

-بصوت مفزع وقوي لا أعلم

-مرة أخرى قل ؟!

-لا أعلم قلت لكم.

أصـــبحت وجـــوههم حمـــراء فهربـــت مســـرعا للقطـــار، والتفـــت ورائـــي وكلهـــم يجـــرون خلفـــي غاضـــبين، بعـــدها بـــدأ زلـــزال بجســـدي و ضـــربات خفيفـــة علـــى كتفـــي أتخيلهـــا

سـندانا يلطـم رأسـي، أحسسـت بالقطـار يسـرع إلـى نهايـة مسـدودة ولـم أسـتطع إيقافـه لفـوات الأوان، كنـت أنتظـر فقـط لحظـة ارتطامـه بالجـدار، و الخـوف يعترينـي، أصـبح العـرق يتصـبب منـي فصـرخت متألمـا واستسـلمت لنهـايتي، فـإذا بـي أرى نـورا يهـوي، وإذا بيـد تلامـس صـدري تبـدو حنونـة علـى قلبـي، تهزنـي هـزا خفيفـا، يتبعهـا صـوت جميـل يناديني :

-"مايكـل مايكـل أفـق يـا عزيـزي"، فـأخرجتني مـن غيبـوبتي حتـى صـحوت من غفوتي الأولى.

هـي أمـي مـن أيقظتنـي ..... أراهـا مفزوعـة هـي الأخـرى ووجههـا يعلـوه

الحــزن و الحنــين، ذلــك الوجــه الــذي يــوحي بالرحمة والأسف على ابنها قائلة :

-أكنت نائما يا بني ؟

نظــرت لــذلك الوجــه الحنــون، و قلــت لهــا بحزن :

-"مجرد غفوة يا أمي".

ترد بصوتها الدافئ :

-ألا تنتهــي مــن دوامــة الراويــات هــذه؟ فلقــد أفقــدتك واقعيتــك وأصــبحت تعــيش فــي الخيال.

عانقتني عناق المودع وقالت:

-"عــش معنــا يــا حبيبــي ودعــك مــن هاتــه الكتابــة، فلــم تجلــب لــك ســوى الألــم، وجعلتك تعيش في متاهة الخيال.

عـدلت جلسـتي بعـد أن كنـت واضـعا رأسـي بـين يـدي علـى فـوق الطاولـة، و نظـرت إلـى السـاعة فعلمـت أننـي بالغـت فـي غفـوتي،ثم نظـرت إلـى الطاولـة وجـدت بقربهـا فنجـان قهـوتي الـذي قدمتـه أمـي لـي وقـد بـرد، وأنـا فـي غفـوتي ولـم أرهـا لشـرودي، ورقـة بيضـاء فـي مطلعهـا عنـوان ذلـك الكتـاب الـذي هـو نفـس عنـوان هـذه الروايـة، فلكـم حريـة تخيلـه واختيـاره، كمـا لـي الحريـة أيضـا فـي اختياره.

قلت لأمي:

-معـك حـق يـا أمـي، آسـف لأننـي جعلتـك قلقـة علـي، لكـن مـا باليـد حيلـة فأنـا معلـق بين قرطاس الماضي وحبر الحاضر.

قـــد صـــدقت كلمـــات أمـــي فـــي حقـــي، لكـــن أأتـــوب عـــن شـــرودي يومـــا ؟ أأتـــوب عـــن الكتابة؟

الفصل الأخير

"الصحوة"

أردت أن أخبـــركم فـــي هـــذه الروايـــة عـــن بعـــض الأمـــور التـــي أســـرد فيهـــا شـــيئا مـــن شخصـــية الـــرواة، فأنـــت أيهـــا القـــارئ لا يجـــب أن تجعـــل الروايـــة أمـــرا حقيقيـــا أو ملموســـا، حتـــى وإن قـــال الـــراوي هـــي نبـــذة مـــن أحـــداث حقيقيـــة، نعـــم وان يكـــن مـــا قالـــه صـــحيحا فلمـــاذا لـــم تســـأل نفســـك مـــا الغايـــة مـــن المبالغـــة فـــي الوصـــف؟ وكيـــف عـــرف الـــراوي شـــعور الشخصـــيات مـــن حولـــه؟ ســـأجيبكم أنـــا، لأنـــه شـــخص مفـــرط الإحســـاس لأنـــه، وإن صـــح القـــول هـــو شـــاعر المشـــاعر، هـــو ذاك الشـــخص الحـــزين والتعـــيس الـــذي لا يســـتطيع التعـــايش مـــع بنـــي جنســـه علـــى ســـجيته،

حزين من الداخل، لأنه لا يبدي ما في قلبه، ولا يجد إلا الكتابة لكي يفرغ فيها ضيق صدره، فهي صديقته الوحيدة، وجواب الشطر الثاني من السؤال هو كيف له أن يعرف شخصيتهم لأنه إنسان محلل و إنسان تافه ؟ كل ما يراه يحيره،ويغوص في خياله مترجما أحاسيس الغير ظانا بأن هذا هو المنطق، أو الإحساس الأصوب، لذلك قد يضطر للكذب على نفسه و عليكم، وهذا ما جعلني أتأسف على حالكم في الفصل الثاني فحزنت لحزنكم على سميث.

الآن في هذا الفصل الأخير، تراود بعضكم مجوعة من الأسئلة، و البعض الآخر لم يفهم شيئا من الرواية ومنكم

مـــن فهـــم النصـــف، وهنـــاك مـــن فهـــم كـــل القصـــة واســـتخلص الهـــدف منهـــا، فهـــذا الاخـــتلاف بيـــنكم لا يختلـــف بدرجـــة الـــذكاء أكثـــر ممـــا يختلـــف بقـــوة الخيـــال، و اتســـاعه و مـــدارك العقـــل، و فـــي هـــذه الفقـــرة سأســـاعد مـــن لـــم يفهـــم الروايـــة بكيفيـــة ربـــط الفصـــول والأحـــداث ومـــا علاقتهـــا بالروايـــة ومـــا علاقتـــي بكـــم؟، فلنرجـــع معـــا للمقدمـــة وللتســـاؤلات الأولـــى، و هـــل مـــازلتم تحتفظـــون بالإجابـــة؟ لا أظـــن، فالروايـــة بالكـــاد أنســـتكم فـــي معظمهـــا، لا يهـــم لا ترجـــع لهـــا، ســـأذكركم بهـــا وأشـــرح العلاقـــة بينهمـــا وأتـــرك إجابتهـــا لكم،فهـــذا مقصـــدي أصـــلا مـــن الروايـــة، حســـنا، كـــان أول ســـؤال هو هل الرواة صادقون؟

يتصل هذا السؤال مباشرة بما قرأتم من قبل بل أقصد أي الروايات الأخرى هل شعرتم يوما بصدق الراوي؟

إذا كان واقعك يتفق مع خيالك فستكون إجابتك بنعم، أي أن كل ما تتخيله يحدث في واقعك و يصير حقيقة، وخيالك لم يكن بلا جدوى، أما إذا كنت إنسانا منطقيا فتمر على الروايات مرور الكرام ولا تبالي قطعا بما كتب فيها، وقد تقرأها وتنساها في لحظة، أما إذا كنت محللا فللأسف ستبقى عالقا بين الواقع و الخيال وتحليل الأحداث، وتكون ضحية الرواية التي لا تخرج من عقلك، فتؤثر فيك و تحزنك و قد تغير من طباعك،

فـــالآن أظـــن أنـــك قـــد وضـــعت فـــي رأســـك إجابة لها أو أنك للأسف لم تجد.

أمـــا إن كـــان فـــي نفســـك شـــيء مـــن شخصـــية الـــرواة كشـــرودهم مـــثلا، أو كنـــت راويـــا، فلـــك الحـــق فـــي أن تقـــول عنـــي مـــا شـــئت، لـــك الحـــق فـــي الصـــمت أو حتـــى كرهـــي، وإن كنـــت إنســـانا عاديـــا فأيضـــا لـــك الحـــق فـــي انتقـــادي فهـــذا راجـــع لـــك و لشخصـــيتك، وهـــذه علاقـــة الروايـــة بالســـؤال الثاني:"هـــل انتقدتهم يوما"؟

سأســـألك يـــا صـــديقي:" أحظيـــت يومـــا بصـــديق راو؟، أحظيـــت بشـــخص مثـــل تومـــاس أو حبيبـــة مثـــل مايـــا؟ فكيـــف تصـــفهم مـــع أنهـــم مجـــرد شخصـــيات فـــي روايتـــي؟ لكـــن إن كنـــت قـــد صـــادفت و

التقيت براو من قبل أو أنك ستلتقيه مستقبلا، أتضع إسقاطا عليه و تقول هذا مثل توماس؟"

إذا كانت الرواية قد غيرت في مفهومك شيئا فتلك الأفكار التي تراود الآن خيالك وأنت تقرأ ما أقول هي جوابك للسؤال الثالث.

هكذا كان ترابط الأسئلة، فلك الحق في تصديقي أو تكذيبي، كما لك الحق في نقدي ولك الحق في أن تضع إسقاطا علي بدل مايا و توماس، وفي الأخير ستعرف بنفسك إن جنيت شيئا من قراءة الروايات و بالأخص روايتي.

علاقة الفصول ببعضها

سـبب غفـوتي هـي شـيء مـن الواقـع والخيـال، كمـا تـذكرون كنـت متعبـا جدا،وجلوسـي كـان لغايـة رد أنفاسـي، ومـا كـان يشـغل بـالي كـل يـوم هـو عنـوان روايتـي القادمـة، لـذاك سـرحت فـي تخيـل بعـض الأحـداث لأجعلهـا ذات هـدف ووصـف أدق متعمقـا فـي كـل شـيء فغفـوت، وبعـد كـل هاتـه الأحـداث أفقـت، فمـا كـان علـي إلا أن أتـذكر كـل التفاصـيل التـي خلتهـا وحلمـت بهـا مضـيفا إليهـا أحاسيسـا مبـالغ فيهـا، جعلـت فيهـا شـيء مـن الحقيقـة وهـو ذلـك الأمـر الـذي يجعـل فيهـا مصـداقية و حقيقـة، إلا أن كـل مـا فـي الأمـر أنـه لا شـيء مـن توماس صـحيح

سوى حبه للمطالعة وصداقتنا، وكنت أفكر فيه هكذا لأني رأيت فيه ذاك الراوي، كما أراه فيكم أنتم، و هو في الأصل ليس براوي بل إنسان عادي فلماذا وصفته بالراوي؟ هل لأني راوي؟ أم صفات النفاق والكذب مجسدة في الرواة؟ أم أن شغفهم في الكتابة لين قلوبهم، و حبهم لإيصال الشعور ونشره بين الناس ما جعلهم يبالغون في الكلام؟ لا يهم، فهذا الجواب يرجع لكم؟ كل ما أردت أن أقوله للقارئ هو أنه:" لا تكن مثل الراوي توماس ولا مثل سميث، لا تعشق مايا المجسدة، لا تكن آرثر، وكن أمي التي أيقظتني، عزيزي القارئ كن أي شخص تريد أن تكون،و لا تكن راويا

ولا كاتبا قد تفقد حقيقتك بها"، صديقي القارئ لولا قربك مني ما كنت لأجعلك شيئا من روايتي وما كنت أمثل أمي لأوقظك. أنا راوي باستطاعتك كرهي، لكن أترك بصمتك هنا ... واجعل لهذه الرواية عنوانا يمثلك أنت وشخصيتك ويمثلني، هي روايتك أنت بالنسبة لي أهم شخصية فيها فاحتفظ بفكرها ومضمونها، لا بشكلها، ففي الأخير "هي لك"